ISSN: 2090 – 0449 Online
Universal Impact Factor (UIF), 2015.
Impact Factor for Arabic Scientific Journals, 2016.

دور الأوقاف في النهضة العلمية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني
(٦٣٣ – ٩٦٢هـ/ ١٢٣٥ – ١٥٥٥م)

زينب رزيوي
أستاذة تاريخ المغرب الإسلامي
جامعة مولاي الطاهر – سعيدة
الجمهورية الجزائرية

مُلَخّصْ

يعتبر الوقف وليد الحضارة الإسلامية، وأطيب مكاسبها ومفاخرها، لذا عني به الفقهاء فوضعوا له أحكام تتلاءم مع خصوصياته، وتنسجم مع أبعاده القيمة، فهو يُعَدّ نظامًا خيريًا بامتياز يقدم عينًا أو نقدًا وفق شروط وأحكام يضعها الواقف الذي يرجو منه سبل الخير وأقدسها وطرق البر وانفعها والتي مست جميع مناحي الحياة على مختلف العصور، إذ شكل في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (٦٣٣-٩٦٢هـ/١٢٣٥-١٥٥٥م) دورًا بالغ الأهمية خاصةً في مجال التعليم فكان أرقى أوجه صرف المنفعة الوقفية، بفضله تم إنشاء العديد من الهياكل الثقافية والتعليمية من مساجد وكتاتيب ومدارس وزوايا ومكتبات... شارك فيها مختلف الفئات الاجتماعية من حكام ومحكومين، كما بعث في هذه الهياكل روح الحياة من خلال تزويدها بمختلف المعدات والوسائل من كتب وحصير وافرشه وزيت للإضاءة...، موجهة لطلبة العلم وعابري السبيل من حجاج ومسافرين...، مع التكفل بهم من مأكل وملبس وإيواء، بالإضافة إلى دفع رواتب الموظفين من معلمين ومؤذنين وعمال...، فعملت هذه المؤسسات بفضله على توفير الجو المناسب للعلم والتعلم فكان سببا في نجاح الحركة الثقافية والتعليمية ازدهارًا كبيرًا من خلال ما أفرزته هذه المؤسسات من عباقرة العلماء والفقهاء والأدباء... حفظ لنا التاريخ أسماءهم ومصنفاتهم، كما كان سببًا في ازدهار وتنوع العلوم والمعارف وارتقائها، فهو بكل بساطة صانع الحضارة والمسهم في تحقيق نهضتها العلمية بالمغرب الأوسط خلال هذه الفترة، والتخلي عنه يؤدي إلى الذبول والانحطاط والتقهقر الفكري والركود العلمي، لذا يمكن اعتباره مؤسسة التمويل الثقافي بامتياز.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث:	٢١	نوفمبر	٢٠١٤
تاريخ قبول النشر:	٤	مارس	٢٠١٥

كلمات مفتاحية:
الوقف الإسلامي، المغرب الأوسط، المؤسسات التعليمية، العهد الزياني

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:
زينب رزيوي، "دور الأوقاف في النهضة العلمية في المغرب الأوسط خلال العهد الزياني (٦٣٣ - ٩٦٢هـ/ ١٢٣٥ - ١٥٥٥م)".- دورية كان التاريخية.- العدد الرابع والثلاثون؛ ديسمبر ٢٠١٦. ص١٢٩ – ١٣٦.

مُقَدِّمَةْ

لقد اهتم علماء المسلمين بالأوقاف (الأحباس) منذ القدم، فقاموا بتحديد معناه لغة وشرعًا، وأبرزوا أدلة مشروعيته ووضعوا القواعد والأصول المؤسسة له، واهتموا به وشجعوا على القيام به لما له من فوائد جمة في مختلف المجالات خاصةً الثقافية منها، حيث يعد بؤرة النهضة العلمية والفكرية وركن أساسي في إرساء دعائم الثقافة ودفع عجلة الحركة العلمية، فما المقصود بالأوقاف؟ وما هي مشروعيتها وأركانها وشروطها وأهميتها؟ وما هو الدور الذي لعبته في النهوض بالازدهار العلمي والتقدم المعرفي بالمغرب الأوسط خلال العهد الزياني؟ وهذا ما سنحاول الإجابة عنه في هذه البحث الموجز.

أولاً: مفهوم الوقف وخصوصياته

١/١- الوقف لغة:

الوقف مصدر للفعل الثلاثي وقّف بمعنى الحَبْس[1] والمنع، يقال: وقف الشيء وأحبسه وسبّله، ويقال: وقفت الدابة وقفًا أي حبستها في سبيل الله تعالى.. والوقف والتحبيس والتسبيل

معنى واحد[٢] يعني: المنع، أي «إمساك عن الاستهلاك، أو البيع أو سائر التصرفات، وهو أيضًا إمساك المنافع والفوائد ومنعها عن كل أحد أو عرض غير ما أمسكت أو وقفت عليه».[٣]

١/٢- الوقف شرعًا:

لقد اختلف الفقهاء في بيان معناه شرعًا، حيث عرفوه بتعاريف مختلفة تبعًا لاختلاف مذاهبهم[٤] ولعل أقربها إلى الشمول هو تعريف الحنابلة إذ عرفوه على أنه «هو تحبيس الأصل وتسبيل الثمرة» اقتباسًا من قول المصطفى عليه السلام «إِنْ شِئْتَ حَبَّسْتَ أَصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا»[٥]، فالصدقة الجارية هي الوقف الذي حبَّس أصله وسبَّل منفعته حيث «لا يُباع ولا يوهب ولا يورث».[٦]

١/٣- مشروعية الوقف:

لقد شرع الله الوقف وجعله من الأمور المستحبة باعتباره من أعظم الأعمال التي يتقرب بها العبد إليه، وطريق من طرق إدرار الخير، وجاءت مشروعيته من نصوص عامة في القرآن الكريم في مواضع كثيرة مثل قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾[٧]، وأخرى مفصلة من السنة كقول المصطفى عليه السلام: «إِذَا مَاتَ الإِنْسَان انْقَطَعَ عَمَلُه إِلاَّ مِنْ ثَلاَثَةِ أَشْيَاء: صَدَقَة جَارِيَة أَوْ عِلْم يُنْتَفَعُ بِه، أَو وَلَد صَالِح يَدْعُو لَهُ»[٨]، بالإضافة إلى أقوال وأفعال سيرة السلف الصالح من الصحابة والتابعين[٩].

١/٤- أركانه وشروطه وأصنافه:

تتألّف العمليّة الوقفية من أربعة أركان تكمن في: الواقف وهو الشخص الذي يقوم بالوقف حيث يشترط فيه: العقل والبلوغ والرشد والاختيار والحرية... والموقوف: وهو الشيء الذي يقِفُه الواقف من عقّارات وأشجار وكتب ومال... للمؤْقُوف عليه وهم: المستفيدون من ذلك، ويكون شخصا واحدا أو مجموعة أو مؤسّسة دينيّة أو تعليميّة، ولا تتمّ العمليّة إلاّ بوجود صيغة الوقف وهي اللفظ الدال على إرادة الوقف كأن يقول: وقفت وحبست، وهي عبارات صريحة دالّة على ذلك أو مجازيّة كأن يقول جعلت أرضي للفقراء صدقة موقوفة[١٠]. إن الوقف يقوم على مبدأ شرعي، وعلى صيغة قضائية ملزمة، ويتولّى ذلك القاضي بحضور الواقف والشهود، فيتم تحديد قيمة الوقف وتعيين أغراضه، وكيفية الاستفادة منه وانتقاله، وعوامل نموّه وتخصيص المشرفين عليه وشروطه، مع الحرص على تسجيل تاريخ الوقف وتوقيع الحاضرين والقاضي، وتسمى بالوثيقة الشرعيّة التي يستند عليها، ويلتزم باحترامها الواقف وأهله والمستفيدون منه وحتّى السّلطة.[١١]

وقد خصص صاحب كتاب: الإسعاف في أحكام الأوقاف فصلا يحدد فيه ما يجوز وقفه وما لا يجوز وعموما تتمثل هذه الأوقاف عادة في: الدّكاكين، والبيوت، والحمّامات، والطّواحن، والأفران، وأشجار الزّيتون والنخيل، والأراضي الزراعيّة والأموال والحيوانات...[١٢]، وهي ما كان معمولا به في جميع العالم الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة خلال فترة البحث. أمّا بالرّجوع إلى مصدر هذه الأوقاف وأصنافها، فقد ساهم فيها الحكام والسلاطين على شكل أوقاف رسمية، كانت حكرا بالدرجة الأولى على المدارس والمساجد الكبرى، أما النوع الثاني فقد ساهم فيه الأفراد بتحبيس جزء من أملاكهم أو في شكل إحسانات يقدمونها خدمة لبعض القطاعات الدّينيّة أو التّعليميّة[١٣].

ثانيًا: مؤسسة الأوقاف في المغرب الأوسط

١/٢- الغرض والأهمّية:

إن البعد الأصلي الذي انبنى عليه الوقف هو التقرب إلى الله وابتغاء مرضاته، عن طريق أعمال خيرية متنوعة كتوفير الرّعاية الاجتماعية للفقراء واليتامى والمرضى وأبناء السّبيل، ومساعدتهم والتخفيف من معاناتهم[١٤]، دون إغفال دوره في الجانب الثقافي، فقد شكل على مدار التاريخ الإسلامي العريق أهم مؤسسة كان لها الدور الرائد والفعّال والمتميز في إرساء دعائم الحركة العلمية والثقافية والمعرفية في أنحاء العالم الإسلامي عامة والمغرب الأوسط خاصة، حيث أسهم إسهامًا واضحًا في العناية والتعزيز المعرفي والازدهار العلمي للمؤسسات العلمية: كالمساجد والمدارس والمكتبات والزوايا... حيث رعتْ الأموال الوقفية عملية التعليم[١٥]، فمنحت الأجور للقيمين على المؤسسات كالمؤذن والإمام والبوّاب والنّاظر[١٦]...، بالإضافة إلى العلماء والطّلبة لأن اشتغالهم بالعلم يقطع عنهم الكسب فيغلب فيهم الفقر.[١٧]

فشكل بذلك مصدر العيش للزّوايا ومصدر الحياة والنّمو للمساجد والمدارس والكتاتيب...فاعتبر الحاضن الأكبر والمورد الرئيسي لأغلب الانجازات العلمية والحضارية، كما يعد المسؤول عن استمرارية حركيتها من عدمه، فانتعشت بعض المؤسسات بسبب ضخامة أوقافها كما هو الحال لمركّب أبي مدين بالعبّاد[١٨]، في حين عانت أخرى نتيجة ضآلة دخلها أو إهمال الوكلاء لها فتسيبت أوقافها[١٩]، كما حدث للمدرسة التّاشفينيّة[٢٠] التي سادها الانحطاط العلمي بسب اندثار أوقافها أيّام ضعف الدّولة الزّيانيّة[٢١]. وبالتّالي فالوقف ضروري في حياة المؤسّسات الثّقافيّة، وهي تختلف باختلاف هذه المؤسّسات، وتكثر أو تقل تبعا لأهمّيتها، وتتأكّد أهمّية الوقف من خلال قول حسن الوزّان: «لم يبقى اليوم سوى دخل بسيط مكّن من الاحتفاظ بالأساتذة الّذين يتقاضى بعضهم مائتي مثقال وبعضهم مئة وبعضهم أقلّ من ذلك، ولعلّ هذا أحد الأسباب الّتي أدّت إلى انخفاض القيمة الفكريّة ليس في فاس وحدها بل في جميع مدن إفريقية».[٢٢]

ولتفادي ذلك والنهوض بقطاع الأوقاف أعاد العديد من الفقهاء والعلماء النّظر في وضعيتها باعتبارها مؤسسة التمويل الثقافي، والّتي ضاعت بسبب الإهمال نتيجة عدم مراعاة الالتزام بالأحكام الشّرعيّة كالمحاسبة، فقد حرصوا على أن تطبّق وتحدّد كلّ شروطها.[٣٣] وهذا إن دل على شيء دل على أهمية الأوقاف ودورها الريادي في النهوض بالازدهار العلمي والتقدم المعرفي، لذلك يمكن أن نعتبرها أسمى الأنظمة الاقتصادية التي ساهمت في بناء المجتمع، ولبنة أساسية في بناء الحضارة الإسلامية، ومن أهم وسائل التقدم العلمي والفكري والمعرفي والثقافي، وأنجح وسيلة لاستمرار المؤسسات العلمية والثقافية في أداء وظيفتها ورسالتها، والسبب الرئيسي لأغلب الانجازات العلمية والحضارية المختلفة[٣٤].

٢/٢- نماذج من أوقاف المغرب الأوسط وأدوارها في خدمة التعليم:

لا شك أن حكام المغرب الأوسط قد أعطوا مثالاً واضحًا عن العناية الفائقة لهذا القطاع وتمويله، فما مؤسّسة دينية وثقافية وتعليمية أُنشأت، إلا وحبست عليها الأوقاف، وحدّدت لها مداخيل الصّرف ودوّنت شروط صرفها والمبالغ المحدّدة لها، في لوحات جبسية معلقة لا يزال البعض منها موجودا حتى اليوم يشهد على ذلك.[٣٥]

(٢/٢) ١- أوقاف المساجد:

كان الوقف وما يزال المصدر الأول والرئيسي في بناء المساجد التي تعتبر في حد ذاتها وقفًا، لأنها بيوت الله وليست ملكا لأحد، لذا حظيت بعناية الواقفين عليها، الذين سعوا إلى تعميرها وتشييدها وتزويدها باحتياجاتها من الفرش والبسط والصرف على العاملين فيها للقيام بوظائفها الدينية[٣٦]، وكذلك تهيئة الظروف للقيام بوظائفها التعليمية بتوفير متطلبات الطلبة من أساتذة وخزائن كتب، فأعانت تلك الأوقاف في أن تحفظ للمساجد شهرتها العلمية واستمرارها كمراكز ومنارات علم وتعلم رغم ظهور المدارس[٣٧]. وتقريبًا كل مساجد المغرب الأوسط ساهم في بنائها سواء الحكام أو المحكومين، وكان الإقبال على بنائها كبيرا جدّا وأغلب هذه المساجد استأثرت بأغلب الموقوفات[٣٨]، لأنها لم تكن دور عبادة فحسب بل كانت منارات علم وتعلم مشاعل نور وهداية ومراكز فقه وتفقيه، ودار فتوى وقضاء ودورًا للتربية ومدارسة العلم وتحفيظ القرآن الكريم.[٣٩]

ويعتبر يغمراسن مؤسس الدولة الزيانية أول من دشن عملية الوقف في بلاد المغرب الأوسط من خلال ببنائه صومعتي الجامعين الأعظمين في تاجرارت وأغادير والّذي رفض أن يكتب اسمه عليهما[٣٠]، فهذا الرّفض دليل على تقواه وورعه[٣١]، أمّا خليفته ابنه أبي سعيد فقد بنى مسجد سيدي أبي الحسن[٣٢]، وجعله يستفيد من مداخيل عشرين دكان موقف عليه حسب ما نصت عليه وثيقة التحبيس[٣٣]. أما مسجد أبي مدين بالعبّاد[٣٤] والمنجز معه مدرسة وزاوية ضمن مركب أنشأه السّلطان المريني أبو الحسن سنة (٧٣٩هـ/١٣٣٨م)، فقد خصه بأوقاف كثيرة ومتنوّعة[٣٥]، عززها السّلطان الزّياني الثّابتي (ت. ٩٠٩هـ/١٥٠٣م) سنة ٩٠٤هـ بأوقاف أخرى[٣٦]، صرفت لخدمة وإصلاح المركب، ودفع أجور القيمين عليه، بالإضافة إلى الطلبة ومتطلباتهم...[٣٧]، وعلى العموم كانت ضخمة لمكانة الوليّ الصّالح أبي مديـن شعيـب (ت٥٩٤هـ)[٣٨] في نفوس السلاطين وعامّة النّاس[٣٩].

أما مسجد مستغانم الذي بناه السلطان أبي الحسن المريني سنة (٧٤٢هـ/١٣٤٢م) فقد وجدت به لوحة تحبيسية مثبتة على أحد جدرانه تبرز أهم موقوفاته من حانوتين وجرّار من الزّيت للإضاءة، يستفيد منها الإمام وقرّاة الحزب والمؤذّنين، ويتولى صرفها القاضي والإمام الخطيب[٤٠]. وكذلك مسجد سيدي الحلوي[٤١] استفاد هو الآخر من جملة من الأوقاف على شكل دكاكين حبسها عليه منشؤه السّلطان المريني أبو عنان سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م)، ليتسنى له القيام بمهمّته والتّكفّل بجميع متطلّباته[٤٢]، أما السّلطان الحفصي أبا يحيى بن أبي زكريّاء فقد اهتم بالجامعين الأعظمين بقسنطينة، وحبس عليهما أراضي ودكاكين وحمّامات.[٤٣]

(٢/٢) ٢- أوقاف المدارس:

لقد حظيت المدارس هي الأخرى بحظّ وافر من أوقاف السّلاطين وأفراد الرّعيّة المياسير إعلاء منهم لشأن العلم، فعلى سبيل المثال لا الحصر المدرسة اليعقوبيّة[٤٤]، التي أقامها أبو حمّو موسى الثّاني، ذكرها صاحب زهر البستان حيث قال عنها: «أوقف لها الكثير من الأوقاف، وأجرى للطلبة فيها المرتب على أصناف»[٤٥]، كما ذكرها صاحب كتاب نظم الدر «فلمّا كملت المدرسة...احتفل بها وأكثر عليها الأوقاف، ورتّب فيها الجرايات وقدم للتّدريس بها الشريف أبا عبد الله المذكور، وحضر مجلس إقرائه جالسًا على الحصير تواضعًا للعلم وإكرامًا له، فلمّا انقضى المجلس أشهد بتلك الأوقاف وكسا طلبتها كلّهم وأطعم النّاس»[٤٦]، حيث كانت كبيرة جدّا ومتنوّعة منها ما هو داخل تلمسان كالحوانيت وكوشة وطاحونة، وفرن وفندق وحمّام، وبعضها خارج المدينة وشمل أراضي زراعيّة وأشجار الزّيتون ومعصرة ورحاها، حسب ما أشارت إليه وثيقة التّحبيس الّتي كتبت سنة (٧٦٥هـ/١٣٦١م)، التي حددت أيضا فئة وقيمة المستفيدين منها، وهم المعلّمين والإمام والمؤذّن والطّلبة[٤٧]، الذين كانوا أوفر حظًا وهذا لعدة اعتبارات، أولها المعاملة الحسنة لمدرسهم أبو عبد الله الشّريف، حيث كانوا أعزّ النّاس في أيّامه وأكثرهم عددا وأوسعهم رزقًا وانتفاعًا[٤٨]، ومن جهة أخرى دور السّلطان أبو حمو موسى وعنايته بالعلم والعلماء والّذي أنفق عليهم الأموال والجرايات وأمدّهم بالعطايا، حتى انه تعفّف من

أخذ أموال الأوقاف ولم يجرؤ على استعمالها في غير ما وقفت عليه، رغم حاجته الماسّة لها لإعادة بناء الدّولة نتيجة الظّروف السّياسيّة والعسكريّة القاهرة الّتي لحقت بها[٤٩]، وعن ذلك يقول يحيى بن خلدون :«...وفتح بين يديه الكريمتين أعلى الله مقامه، صندوق الأوقاف المنوّعة مفعمًا ذهبًا وفضّة، فلم تغره صفراؤه ولا بيضاؤه شنشنة نعرفها من أحزم ولا سنة علوية عليه»[٥٠].

أمّا المدرسة التّاشفينيّة التي غابت عنها حقائق كثيرة لعدم وجود وثائق التحبيس عنها[٥١]، إلا أن ذلك لا يعني انعدامها، فمؤسسها أبي تاشفين قد أحاطها بجملة من الأوقاف تتغذى منها لتؤدّي رسالتها التّعليميّة والعلميّة[٥٢]، ولكنها اندثرت واختفت بعد ذلك، إلى أن أحياها "أبو العبّاس أحمد العاقل" ما بين سنتي (٨٣٤-٨٦٦هـ)، كما ذكره التنسي: «ووجد كثيرًا من ربع الأحباس قد دثر، والوظائف الّتي بها قد انقطعت فأحيى رسمها، وجرد ما دثر، وأجرى الوظائف على أزيد ممّا كانت عليه قبل».[٥٣]

(٢/٢) ٣- أوقاف المكتبات:

تُعَدّ المكتبات - العامة- من أهم دعائم الحضارة فهي تقوم بحفظ وصيانة كنوز المعرفة وإتاحتها للجميع، كما تعد من أهم المظاهر التي يتجلى فيها البعد العلمي للوقف، إذ يعكس حب المسلمين للعلم ويبرز حرصهم على نشره، لذا سارع السلاطين على إنشائها وجمع آلاف الكتب وتحبيسها على طلبة العلم، كما خصوها بالأوقاف من أجل ترميمها ودفع مرتبات موظفيها، وتعتبر مكتبات المساجد هي النواة التي قامت على أساسها أنواع المكتبات الأخرى، التي انتشرت في جميع المؤسسات التعليمية، فبالإضافة إلى مكتبات المساجد هناك مكتبات المدارس والزوايا والبيمارستانات (المستشفيات).[٥٤]

يعتبر الكتاب جوهر المكتبة وأساسها، فقد أدرك مشيدو المكتبات أنّ الاقتصار على بنائها وتوفير جهاز للتدريس غير كاف، فاهتموا بوقف الكتب باعتبارها وسيلة ميسرة للتحصيل والمراجعة، حيث توفر مادة علمية يستند عليها المعلم والمتعلم في آن واحد، وقد شملت وقف الكتب مختلف أنواع فروع المعرفة وبنسبة كبيرة كتب الدين وعلى رأسها المصاحف التي استحوذت على اهتمام الواقفين بحيث شكلت نواة المكتبات فاختطوها وحبسوها عليها[٥٥]، ولعل أول المساهمين في هذا النوع هم السلاطين والحكام والأغنياء لتوفر المال لديهم، ولعل أصدق مثال عن ذلك السلطان الزياني أبو زيان محمد الثاني (٧٩٦-٨٠١هـ) الذي أقام سوق المعارف في دولته وأبدع في نظم مجالسها فلاحت للعلم في أيامه شموس، وقف بمكتبة الجامع الأعظم بتلمسان[٥٦] مصاحف وكتب منسوخة بيده مثل: كتاب الشفاء للقاضي عياض وصحيح البخاري، بالإضافة إلى كتاب من تأليفه سماه "الإشارة في حكم العقل بين النفس المطمئنة والنفس الأمارة" في التصوف، اعتبرت «من مآثره الشّريفة المخلّدة من ذكره الجميل ما سرت به الرّكبان، لمّا أوقف عليها من الأوقاف الموجبة للوصف بجميل الأوصاف»[٥٧]، وقد مدحه الشاعر محمد بن يوسف الثغري في قوله:

لَه بكِتابِ اللهِ أعني عنايةٍ ... وبالسنةِ الغرا هُو المغرمَ المغرَي
فما هَمَهُ إلاّ كتابُ وسنةٌ ... بنسخِها قد أحرزَ الفخرَ والأجرَا
فنَسخ كتابِ اللهِ جلّ جلالُهُ ... ونسخ البخاري ضَامِنَان لَهُ النصْرَا
ومَن كَانَ يَعتَدْ الشِفَاءَ شِفَاءَه ... فَمِن عِلَلِ الأَوزَارِ في نَسخِه يَبرَا
تَضَوعَ طَيِّبًا حِبرَه وكِتَابه ... فَزَادَ البُخَارِي مِن مَبَاخِرِه عِطرًا
فَلَمْ أَدرِ والأَوراقُ رَاقَتْ بِخَطّه ... أَمسَكَا عَلَى الكَافُورِ يَنثُرُ أَم حِبرَا[٥٨]

وكذلك السلطان المريني أبو الحسن الذي حبس على مركب أبي مدين بالعباد الكتب النفيسة والمصنّفات المفيدة من اجل أن ترتقي حركته العلمية، فكان سببا في تكاثر الطّلبة الوافدين على المركب[٥٩]، ولم تقتصر هذه المبادرة الهامّة على السّلاطين فحسب، بل شارك فيها الأفراد وحبسوا مكتباتهم، أو الكتب الّتي كانوا يملكونها خدمة للعلم وأهله، فشكلت هذه المكتبات الوقفية منهلا صافيا لطلاب العلم، حيث أتيحت الاستعارة للجميع للاطلاع على الكتب والعلوم الجديدة التي لم تكن متاحة لنفر كثير منهم، بسبب ندرتها أو غلاء أثمانها أو المفقودة منها في زمن لم يكن هينًا فيه الحصول عليها، فكانت سببًا في نشر العلم وازدهار التأليف والنسخ[٦٠].

(٢/٢) ٤- أوقاف الزّوايا:

إنّ الزّوايا هي الأخرى شملها نظام الأوقاف، واستفادت منه في إنشائها وتعميرها والنّظر في مصالحها لتسييرها والقيام بمختلف مهامها، لدورها الهام في الحياة الاجتماعية وخاصة العلميّة[٦١]، فقد كانت تتكفل وتأوي الفقراء والغرباء والطلاب، ولا يستبعد أنها كانت مسرحًا لنشاط علمي مكثف، فقد استغل بعضها في التعليم وإقامة حلقات الدرس نظرًا لمجاورة عدد كبير منها لمجموعة من المساجد والمدارس إضافة احتوائها على خزائن الكتب، ولتحقيق ذلك اعتمدت اعتمادا كليا على الوقف[٦٢] الذي خصها بها السّلاطين والعلماء والأفراد وأحاطوها بإيراداتهم وإحساناتهم، وعلى الرغم من اختلاف الزوايا إلا أنها تشابهت وظائفها سواء زوايا الريف التي حظيت بعناية سكانها الذين أوقفوا الذين فضل بعضهم تحبيس أراضيه الزراعية، والبعض الأخر اكتفى بتقديم المحصول عينا[٦٣]، أو زوايا المدن وهي الزوايا الرسمية التابعة للسلاطين كزاوية أبي مدين بمركب العباد - أشرنا إليه سابقًا - ذات المداخيل الضخمة، وزّاوية السّلطان أبي حمّو موسى الثّاني بتلمسان التي أنشأها رفقة المدرسة وسمّيت بالمدرسة اليعقوبيّة، فقد أنفق عليها الأموال الجليلة والجرايات لصيانتها والقيام بدورها هي والمدرسة[٦٤]، أو

زوايا العلماء ولعل أكثرها شهرة زاوية إبراهيم التّازي (ت. ٨٦٠هـ)[٦٥] بوهران التي تعد «من أعظم الدّلائل على ولايته الباهرة وكراماته الظّاهرة ما أجرى الحقّ سبحانه على يده من بناء الزّاوية النّبيهة المتعدّدة الأبواب، والمساجد الأنيقة العالية والمرافق المعدّة للزّوّار وأبناء السّبيل، فمسجد زاويته نهاية في الفخامة والاحتفال، ومدارسه المشتملة على الميضاة الأنيقة الدارة والحمّام الّذي ما شوهد مثله في البلاد، والخزائن المملوءة بالكتب العلميّة وآلات الجهاد، والسّطح المظلّل بعريش من شجر الياسمين والعنبر والرّائحة لا نظير لها ولا مثال».[٦٦]

إنّ هذه المشاريع العمرانيّة الضّخمة الّتي اشتملت عليها الزّاوية كانت بفضل الموارد الماليّة الكبيرة الّتي استفادت منها الزّاوية في شكل نذور وصدقات سمحت إلى ما آلت إليه وضعيّة الزّاوية من مستوى حضاري راق[٦٧]، استغلت للتكفل بمختلف الفئات الاجتماعية وتوفير مستلزماتهم الضرورية من مأوى ومأكل ومشرب، بالإضافة الى خدمة التعليم في مختلف العلوم[٦٨]، ولتعميم العلم ونشره حبس عليها صاحبها مكتبة مملوءة بالكتب النفيسة التي وجد فيها طلاب العلم ضالتهم.[٦٩]

خاتمة

ومما سبق نستنتج؛ أن الأوقاف كان لها الدّور الرّائد في النّهضة العمرانيّة والثّقافيّة الّتي عرفها المغرب الأوسط خلال العهد الزياني، حيث اعتبرت المصدر الأساسي لتغطية مختلف نفقات المؤسسات التعليمية المتمثلة في:

- منح أجور الطواقم الساهرة على خدمة المؤسسات: كالمدرسين والحراس والبوابين.
- التكفل بطلاب العلم والعلماء ومختلف الفئات الاجتماعية: كعابري السبيل والمحتاجين والفقراء.
- إنشاء وإصلاح وترميم المؤسّسات وتزويدها بمختلف التّجهيزات الضّروريّة من: حصير وأفرشه وزيت للوقود والإضاءة، بالإضافة إلى توفير الكتب في مختلف الفنون.

وختامًا؛ إنّ الوقف كان ومازال بؤرة النهضة العلمية والفكرية العربية الإسلامية على مدار القرون، حيث أسهم الواقفون من حكام ومحكومين وعلماء في مساندة المسيرة العلمية، وبالتالي إتاحة المعرفة لكافة الفئات الاجتماعية دون أدنى تمييز.

الهَوامِشُ:

(١) إنّ لفظة **الحبس** مصطلح مغربي، أما **الوقف** مصطلح مشرقي شاع عندهم، والألفاظ الدّالة على الوقف أو الحبس فهي عديدة مثل: تحبيس، تسبيل، تحريم، الصدقة، وهناك لفظة: الصدقة المحرّمة. يُنظر: عبيد بوداود، **انتشار ظاهرة الأوقاف في المغرب الإسلامي مابين القرنين السابع والتاسع الهجريين (١٣-١٥م)، ودورها في الحياة الاقتصادية والاجتماعية**، رسالة دكتوراه في التاريخ الوسيط، جامعة وهران، ٢٠٠٥-٢٠٠٦، ص٠٥.

(٢) يُنظر اشتقاقات الكلمات ومعانيها: ابن منظور، **لسان العرب**، ج١ (مادة وقف)، الدار المصرية، القاهرة، (د.ت)، ص٣٥٩؛ ج٦ (مادة حبس)، ص٤٤-٤٦؛ بطرس البستاني، **محيط المحيط**، مكتبة لبنان، بيروت، طبعة جديدة، ١٩٨٧، ص٩٨٢؛ احمد بن محمد الفيتومي، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي**، ج١، تحقيق: عبد العظيم الشناوي، دار المعارف، القاهرة، ط٢، (د.ت)، ص٦٦٩؛ إبراهيم مصطفى وآخرون، **المعجم الوسيط**، مطبعة الشروق الدولية، دون مكان نشر، ط٤، ٢٠٠٤، ص١٠٥١.

(٣) محمد مصطفى شلبي، **أحكام الوصايا والأوقاف**، الدّار الجامعية، بيروت، ط٤، ص١٩٨٢، ص٣٠٢-؛ منذر قحف، **الوقف الإسلامي: تطوره إدارته تنميته**، دار الفكر، دمشق، ط٢، ٢٠٠٦، ص٥٥.

(٤) يُنظر عن ذلك: منذر قحف، المرجع نفسه، ص٥٦-٥٨؛ راغب السرجاني، **روائع الأوقاف في الحضارة الإسلامية**، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، ط١، ٢٠١٠، ص٣٢-٣٣؛ معتز محمد مصبح، **دور الوقف الخيري في التنمية الاقتصادية (دراسة تطبيقية لقطاع غزة)**، رسالة ماجستير في اقتصاديات التنمية، الجامعة الإسلامية، غزة، ٢٠١٣، ص١٧-١٩.

(٥) محمد طاهر حكيم، **"دور الوقف في تعزيز التقدم الفكري"، المؤتمر الثالث للأوقاف: الوقف الإسلامي" اقتصاد، وإدارة، وبناء حضارة"**، بالمملكة العربية السعودية، الجامعة الإسلامية، ٢٠٠٩، ص٧٦٠-٧٦١، معتز محمد مصبح، المرجع السابق، ص١٨.

(٦) برهان الدين الطرابلسي، **الإسعاف في أحكام الأوقاف**، مطبعة هندية، مصر، ط٢، ١٩٠٢، ص٠٥.

(٧) **سورة آل عمران**، الآية: ٩٢.

(٨) ابن عبد البر، **جامع بيان العلم وفضله**، ج١، تحقيق: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي ودار الحرميين للطباعة، القاهرة، (د.ت).

(٩) يُنظر: عبيد بوداود، المرجع السابق، ص٠٧؛ محمد مصطفى شلبي، المرجع السّابق، ص٣١٢ -؛ سليمان بن عبد الله ابا الخيل، **الوقف في الشريعة الإسلامية: حكمه وحكمته وأبعاده الدينية والاجتماعية**، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، ٢٠٠٨، ص١٤-٢٤؛ معتز محمد مصبح، المرجع السابق، ص٢٢-٢٤.

(١٠) لتفاصيل أكثر يُنظر: برهان الدين الطرابلسي، المصدر السابق، ص ١٠- ؛ مشهور بن دخيل بن داخل الحساني، **كتاب الوقف للإمام يوسف بن حسين الكرماستي الحنفي المتوفى سنة ٩٠٦هـ دراسة وتحقيقًا**، رسالة ماجستير من كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، ١٤٣١هـ، ص ١٥٥-؛ احمد بن عبد العزيز حداد، **من فقه الوقف**، دائرة الشؤون الإسلامية والعمل الخيري، دبي، ط١، ٢٠٠٩، ص٢٣-٢٩؛ معتز محمد مصبح، المرجع السابق، ص

٢٥-٢٨؛ عبيد بوداود، **الأوقاف...**المرجع السابق، ص١٩-٢١؛ محمد مصطفى شلبي، المرجع السّابق، ص ٣٤٥-٣٥٦.

(١١) أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثّقافي من القرن (١٠-١٤هـ/١٦-٢٠م)**، ج١، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ١٩٨١، ص٢٢٤؛ أحمد بن عبد العزيز حداد، المرجع السابق، ص٢٣-٢٤.

(١٢) برهان الدين الطرابلسي، المصدر السابق، ص١٩-؛ ولأكثر تفاصيل يُنظر: الونشريسي، **المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقيّة والأندلس والمغرب**، ج١٢، تحقيق محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١، ج٧، ص١٥١؛ مشهور بن دخيل الله الحساني، المرجع السابق، ص١٦٧-؛ صالح بن قربة وآخرون، **تاريخ الجزائر في العصر الوسيط من خلال المصادر**، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر١٩٥٤، الجزائر، ٢٠٠٧، ص١٥٧.

(١٣) صالح بن قربة وآخرون، المرجع السّابق، ص ١٥٦-١٥٧.

(١٤) كمال السّيد أبو مصطفى، **جوانب من الحياة الاجتماعية والاقتصادية والدّينيّة والعلميّة في المغرب الإسلامي من خلال نوازل وفتاوى المعيار المعرب للونشريسي**، مركز الإسكندريّة للكتاب، الإسكندريّة، ١٩٩٦، ص٢٦-٢٧.

(١٥) محمد طاهر حكيم، المقال السابق، ص ٧٧٢.

(١٦) أبو القاسم سعد الله، المرجع السّابق، ص٢٢٨.

(١٧) برهان الدين الطرابلسي، المصدر السابق، ص١٣.

(١٨) محمد بن رمضان الشّاوش، **باقة السوسان في التعريف بحاضرة تلمسان عاصمة دولة بني زيان**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٥، ص٢٩٨-٣٠٢.

(١٩) أبو القاسم سعد الله، المرجع السّابق، ص٢٢٨.

(٢٠) **المدرسة التاشفينية**: تعرف بالمدرسة الجديدة تعد ثاني مدرسة بالمغرب الأوسط، أنشاها السلطان الزياني أبو تاشفين الأول (٧١٨-٧٣٧هـ/١٣١٨-١٣٣٧م)، بالقرب من المسجد الأعظم في تلمسان، سخر لبنائها كبار المهندسين ومهرة الفنانين والمعماريين فكانت تحفة فنية رائعة، تتميز بازدواجية وظيفتها التعليم والإيواء، تم تدشينها في شهر صفر سنة ٧٢٥ه، درس بها فطاحل العلماء أمثال: أبي موسى عمران المشذالي، وأبي عبد الله محمد السلاوي، ومحمد بن أحمد بن علي بن أبي عمرو التميم...، فكانت من أشهر المدارس التي ساهمت في تخريج دفعات من الفقهاء والعلماء، واستمرت في ذلك إلى غاية القرن السادس عشر، ليزيل الاحتلال الفرنسي معالمها التاريخية سنة ١٨٧٦م، ويقيم بدلا منها دارا للبلدية. يُنظر: التنسي، **تاريخ بني زيّان ملوك تلمسان، مقتطف من نظم الدرّ والعقيان في بيان شرف بني زيّان**، تحقيق: محمد بوعياد، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، الجزائر، ١٩٨٥، ص١٤٠-١٤١؛ صالح بن قربة وآخرون، المرجع السابق، ص١٤٤-١٥٠.

(٢١) صالح بن قربة وآخرون، المرجع نفسه، ص١٥٨.

(٢٢) حسن الوزّان، **وصف إفريقيا**، ج١، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط٢، ١٩٨٣، ص٢٢٧.

(٢٣) صالح بن قربة وآخرون، المرجع السّابق، ص١٥٩، وللتعرف على الأحكام المطبقة على نظام الأوقاف خاصة بناظر الوقف. يُنظر: الونشريسي، **المعيار**... المصدر السّابق، ج٧، ص٦٥-٩٢-١٢٣-١٤٠-١٤٥-٢١٥-٢١٧-٣٤٨.

(٢٤) محمد طاهر حكيم، المقال السابق، ص٧٥٨؛ ص٧٧٢.

(٢٥) صالح بن قربة وآخرون، المرجع السّابق، ص١٥٧.

(٢٦) معتز محمد مصبح، المرجع السّابق، ص٤٧.

(٢٧) يحيى محمود ساعاتي، **الوقف وبنية المكتبة العربية استبطان للموروث الثقافي**، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض، ط٢، ١٩٩٦، ص٢٠.

(٢٨) عبيد بوداود، **الأوقاف...**المرجع السّابق، ص٢٠٦.

(٢٩) محمد طاهر حكيم، المقال السابق، ص٧٧٣.

(٣٠) التنسي، المصدر السابق، ص١٢٥؛ يحيى بن خلدون، **بغية الرّوّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**، ج١، تحقيق: عبد الحميد حاجيات، المكتبة الوطنيّة، الجزائر، ١٩٨٠، ص٢٠٧.

(٣١) عبيد بوداود، **الأوقاف...**المرجع السّابق، ص٨١.

(٣٢) **مسجد سيدي أبي الحسن**: يقع بجوار الجامع الاعظم، أسسه السلطان الزياني ابي سعيد عثمان يغمراسن سنة (٦٩٦ه/١٢٩٦م) تكريما لذكرى أخيه أبي عامر إبراهيم، لكنه لم يحمل اسمه وانما تسمى باسم احد مشاهير علماء تلمسان وهو الفقيه ابو الحسن بن يخلف التنسي (ت. ٧٠٣ه)، الذي استقر بتلمسان وذاع صيته بفضل الدروس التي كان يلقيها، يمتاز المسجد بصغر حجمه وفخامته، انقطع عن وظيفته الدينية عندما حولته فرنسا الى متحف. يُنظر:

George Marçais, **les villes d'art célèbres Tlemcen** , édition du tel, Algérie, 2003, p46.

(٣٣) الملحق رقم (١): وَثِيقَة التَّحبِيس عَلَى مَسجِد سيدي أَبِي الحَسَن فِي تِلمسَان: «بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ، صَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا محمَّد وَعَلَى آلِه وصَحبِه وسَلَّمَ تَسلِيمًا، بُنِيَ هَذَا المَسجِد لِلأَمِيرِ أَبِي عَامِر إِبرَاهِيم بَن السُّلطَان أَبِي يَحيَى يَغمُرَاسَن بَن زِيَّان فِي سَنَة سِتَّة وتَسعِين وسِتُّمَائَة بَعدَ الأَلفِ مِن بَعدِ وَفَاتِهِ رَحمَةُ اللهِ، وَحُبِسَ لِهَذَا المَسجِد عِشرُونَ حَانُوتًا مِنهَا بِحَائِط قِبلَتِهِ أَربَعَةَ عَشَرَ وأَمَامَهَا سِتَّة أَبوَابُهَا تَنظُر لِلجَوفِ و مِصرَعَيه بِغَربِي المَسجِد عَلَى بَابِ الدَّربِ ودَارَان اثنَتَانِ بِغَربِيهِ الوَحِدُ لِسَكَنِ إِمَامِه، والثَّانِيَة لِسَكَنِ المُؤَذِّنِ القَيِّمِ بِخِدمَتِه وآذَانِه، تَحبِيسًا تَامًّا مُؤَبَّدًا احتِسَابًا لِوَجهِ اللهِ العَظِيمِ ورَجَاءِ ثَوَابِهِ الجَسِيم لا إله إِلا هُوَ الغَفُورِ الرَّحِيمِ». يُنظر:

(Ch)- Brosselard, "les inscriptions arabes de Tlemcen : Mosquée Abou l'-Hacen ou bel H'acen ", in Revue Africaine, 3(ème) Année, N°15, Fevrier1859, PP162-163.

(٣٤) **مسجد أبي مدين:** من أهم المنجزات المرينية بالمغرب الأوسط شيده السلطان المريني أبي الحسن سنة (٧٣٩ه/ ١٣٣٩م) عند استيلائه على تلمسان، حيث نسب إلى الولي الصالح سيدي أبي مدين شعيب (ت ٥٩٤ه) الذي دفن بالقرب منه، ومازال هذا الجامع قائما حتى اليوم محتفظا بأصالته وفنه فقد ولاه مؤسسه عناية خاصة، فكان غاية في الحسن والإتقان. يُنظر: ابن مرزوق، **المسند الصّحيح في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن**، تحقيق: ماريا خيسوس بيغيرا، الشّركة الوطنيّة للنّشر والتّوزيع، الجزائر، ١٩٨١، ص ٤٠٢-٤٠٣؛

(Ch)- Brosselard **"les inscriptions arabes de Tlemcen : Mosquée et medersa de sidi boumedin", in Revue Africaine**, 3(ème) Année, N° 18, Aout 1859, p401.

(٣٥) الملحق رقم: (٢) : الوقف (١): وثِيقَة التَّحبِيس عَلَى مُرَكَّب أَبِي مَدْيَن بِالعِبَاد : "المَسجِد والمَدرَسَة والزَّاوِيَة" «بِسمِ اللهِ الرَّحمَنِ الرَّحِيمِ وصَلَّى اللهُ علَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد وعَلَى آلِه وصَحْبِه وسَلَّمَ تَسْلِيمًا، الحَمْدُ لله رَبِّ العَالمَينَ والعَاقِبَة لِلمُتَّقِينَ أَمَرَ بِبِنَاء هَذَا الجَامِعْ المُبَارَك مَعَ

المَدرَسَة المُتَّصِلَة بِغَرْبِه مَوْلَانَا السُّلْطَان الأَعْدَل أَمِيرُ المُسْلِمِينَ المُجَاهِدُ فِي سَبِيل رَبِّ العَالَمِينَ أَبُو الحَسَنْ بَن مَوْلَانَا بَن أَبِي سَعِيدْ بَن مَوْلَانَا أَبِي يُوسَفْ بَن عَبْدِ الحَقّ المَرِينِي أَيَّدَ الله أَمْرَهُ وخُلِّدَ بِالعِمَلِ الصَّالِح ذِكْرَه وأَخْلَصَ لله تَعَالَى فِي عَمَلِ البِرِّ سِرَّهُ وجَهْرَه وحَبَسَ المَدرَسَة المَذكُورَة عَلَى طَلَبَة العِلمِ الشَّرِيفِ وتَدرِيسَه عَلَى الجَامِعِ المَذكُورِ والمَدرَسَةِ مِنَ الجِنَانِ العَلِيِّ نَفَعَهُمْ الله بِذَلِكَ وجَمِيعَ الجِنَانِ القَصِيرِ الَّذِي بِالعِبَاد الفَوْقِي المُشْتَرِي مِنْ وَلَدَي عَبْدِ القَادِر القَصِيرِ ومِنْ عَبْدِ الوَاحِد وجَمِيعَ جِنَانِ أَقدَامِ المُشْتَرِي مِن عَلِي المُرَانِي وجَمِيعَ الجِنَانِ المَعْرُوفِ بابن حُوتِيَّةِ الكَائِن بِازْوَاغَة المُشْتَرِي مِن وَرَثَة الحَاجّ مُحمد بَن حُوتِيَّة، وجَمِيعَ الجِنَانِ الكَبِيرِ وَالدَّارِ المُتَّصِلَةِ مِنْ جِهَة غَرْبِه المَعْرُوفِ ذَلِكَ باسم دَاوُود بَن عَلِي المُشْتَرِي مِنْ وَلَدِهِ وهُوَ بِأَسْفَلِ العِبَاد السُّفْلِي وجَمِيع الرُّقعَتَين المَورُوثَتين أَيضًا مِنْهُ اشتراهما مِنْ وَلَدِه عَلِي الغَز وَاحِدَة بابن أَبِي إِسْحَاقْ والثَّانِيَة بابن الصَّلَاةِ المَعْرُوسِ مِنْهُمَا وغَيرِ المَعْرُوسِ وجَمِيعَ الجِنَانِ المَعْرُوفِ بِجِنَانِ البَادِسِي المَورُوثِ أَيضًا مِنْهُ المُشْتَرَى مِنْ يَحْيَى بَن دَاوُدْ المَذْكُور وهُوَ أَسْفَل العِبَاد السُّفْلِي وجَمِيعَ الجِنَانِ المُسَمَّى قَرْعُوشْ من جِنَانِ البَادِسِي المَذْكُور المَوْرُوث أَيْضًا عَنْهُ المُشْتَرِي من وَلَدِه عَبدِ الوَاحِدِ وعِيسَى وجمَيع المَغْرُوسَات الأَرْبَعَة الفَوقِي مِنْهَا يُعْرَف بابن مَكّي والثَّانِي بابن مُحمد بَن السَّرَاج والثَّالِث بِفَجّ المَدَلْسِي والرَّابِع بَن الفِراق الَّتِي بِجَوفِي مَسْجِد العِبَاد السُّفلِي المُشْتَرِي أَيضًا مِنهُم والنِّصف الوَاحِد مِنَ الجِنَانِ الزَّهرِي مَعَ جَمِيع بَيْتَي الرَّحَا المَبْنِيَّة بِغَرْبِه وذَلِكَ بِجِهَةِ الوَرِيطْ وجَمِيع بَيْتَي الأَرْحَا المَبْنِي أَيْضًا بِقَلْعَة بَنِي مَعْلِي خَارِج بَاب كَشُّوطْ وجَمِيعُ الحَمَّام المَعْرُوفِ بِحَمَّام العَالِيَةِ الَّذِي بِدَاخِلِ تِلِمسَان مَعَ حَانُوتِيَّةِ المُتَّصِلَتَين بِه عَلَى يَمِينِ الخَارِج مِن بَابِه القِبلِي ودَوِيرَاتِهِ المُتَّصِلَةِ بِه مِن جِهَةِ جَوْفِه ومَصْرِيَّتِه المَجْعُولَةِ عَلَى أُسْطُوَانَة والوَاحِد الحَمَّام القَدِيمِ من زَيدِ ورَهْنَي قُطْر تِلِمْسَان المَذْكُورَة بِرَسْمِ إِطْعَامِ الطَّعَامِ بِزَاوِيَة العِبَاد عَمَّرَهَا الله لِلقُرَّاءِ والحُجَّاجِ المُقِيمِين والوَارِدِين عَلَيهَا وأَثْرَه عَشْرَةُ أَزوَاج بِالمَوضَعِ المَذكُورِ بِرَسمِ سَاكِنِي المَدرَسَةِ المَذكُورَة بِحِسَاب خَمسَةَ عَشَرَ صَاعًا لِلطَّالِبِ الوَاحِدِ فِي كُلِّ شَهْرٍ وَ جَمِيعَ جِنَانِ سَعِيدِ بَن الكَمَّاد المُشْتَرِي مِنْ وَرَثَتِهِ وهُوَ الكَائِن فَوقَ العِبَادِ العُلوِي وتَحتَ سَاقِيَة النَّصرَانِي وجمَيعَ جِنَانِ القَائِد مَهْدِي المُشْتَرِي مِنْ وَرَثَتِهِ الكَائِن بِأَزْوَاغَه المَحْرُوسَة وجَمِيعَ جِنَانِ التَّفرِيسِي الكَائِن تَحتَ الطَّرِيقِ المَارِّينَ عَلَيهَا لِلْوَرِيطِ المُشْتَرِي مِن وَرَثَتِهِ وجَمِيع أَرضِ جِنَانِ التَّفرِيسِي المَذكُورِ الكَائِن غَرْبَيَ الصَّوَارِم المُشْتَرَاة مِنهُم بِقُبَّة الرِّحَاب المُتَّصِلَة بِالجَامِع المَذكُور البَقِيَّة مِن الجِنَانِ المَزِيدِ بَعضُهُ فِي الجَامِعِ المُشْتَرِي مِن وَرَثَة عَبدِ الوَاحِدِ مِن وَرِثَةِ أَبِيهِ وأُمِّهِ وعَمَّتِهِم مَمَرنَة ولَم يَبقَ لِوَرَثَتِهِم حَقٌّ ولا مَطلَب وحُبِسَ عَلَى الزَّاوِيَةِ المَذكُورَةِ والجَّامِعِ المَذكُورِ بَينَ مَلاحِقِ البِطَحِ عَلَى نَفَقَةِ الحُجَّاجِ الوَارِدِينَ عَلَيهَا مِنَ الفُقَرَاءِ والمَسَاكِين». يُنظر: محمد بن رمضان الشّاوش، المرجع السابق، ص٢٩٨- ص٣٠١.

(٣٦) الملحق رقم: (٢)الوقف (٢): «هَذَا اشتَرَى عَن أَمرِ مَولَانَا أَمِيرِ المُسلِمِينَ أَبِي عَبدِ الله الثَّابِتِيِّ أَيَّدَ الله أَمرَهُ وأَعَزَّ نَصرَهُ مِن الأَرَاضِي مِمَّا كَانَ مَوقُوفًا تَحتَ يَدَيهِ الكَرِيمَتَينِ مِنَ وَفرِ أَحبَاس الوَلِيِّ القُطب سِيدِجِي أَبِي مَدِين نَفَعَنَا الله بِه وذَلِكَ بِبو هَنَّان زَوجُ فَدَّان الزَّيتُونِ الكَبِيرِ بِمَائَتَي دِينَار ذَهَبًا وزَوجُ تَادَكرَة بِمَائَة وأَربَعِينَ دِينَارًا ذَهَبًا وفَرِدِياً بِمائَة دِينار ذَهَبًا المُشتَرِي جَمِيعُها مِن بَيتِ مَالِه أَيَّدَه الله وأَنمَاهُ بَعدَ خُلُوصِهَا لَه مِن وَرَثَة ابنِ ويغذَن بِالوَجهِ الشَّرعِي وجَمِيعِ زُون التقاطيس بِثلاثَة وخَمسِينَ دِينَارًا ذَهَبًا مِن وَرَثَة ابنِ صَالِح ووَرَثَة الشِّيبي بِتُرَابِهَا وحُفَرِهَا بِالصفصيف جَمِيعِ الزَّوجَين المُسمَّاةِ أَحَدِهِمَا وَغْزٌ مُشتَرَاة مِن وَرَثَةِ يَحيَى بن دَاوُد والأُخرَى أفطوطن مُشتَرَاة مِن أَحمَد المَسِيفِي بِتُرَابِهِمَا وحُفَرِهِمَا بِمَائَتَين اثنَتَين وثَلَاثَة عَشَرَ دِينَارًا ذَهَبًا لِتُصرَفَ غِلَّتُهَا فِي مَصرُوفِ الحُبُس المَذكُورِ عَلَى عَادَتِهِ حَسبَمَا وَقَعَ ذَلِكَ فِي عَام أَربَعَه وتِسعُمَايَة سَنَة». يُنظر: محمد بن رمضان الشّاوش، المرجع السابق، ص٣٠١-٣٠٢.

(٣٧) ابن مرزوق، المصدر السابق، ص١٠٦.

(٣٨) هو **أبو مدين شعيب بن الحسين الأنصاري الأندلسي** (٥٢٠-٥٩٤هـ) شيخ المشايخ، من أعلم العلماء وحفاظ الحديث، وشيخ أهل المغرب في التصوف، اشتهر ببجاية وكثر تلاميذه وأقبل الناس عليه التماسا لعلمه واقتداء بطريقته، توفي في العبّاد ودفن بها. يُنظر: التنبكتي، **نيل الابتهاج بتطريز الديباج**، إشراف وتقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، ط١، ١٩٨٩، ص١٩٣-؛ ابن مريم، **البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان**، تحقيق محمد بن أبي شنب، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ١٩٠٨، ص١٠٨-؛ الحفناوي، **تعريف الخلف برجال السلف**، ج٢، مطبعة بيير قوفتانة الشرقية، الجزائر، ١٩٠٦، ص١٧٦-؛ ابن الزيات التادلي، **التشوف إلى رجال التصوف وأخبار أبي العباس السبتي**، تحقيق: احمد التوفيق، منشورات كلية الاداب، الرباط، ط٢، ١٩٩٧، ص٣١٩-؛ الناصري، المصدر السابق، ج٢، ص١٨٩؛ الغبريني، **عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية**، تحقيق: رابح بونار، الشركة الوطنية، الجزائر، ١٩٨١، ص٥٥-؛ محمد مخلوف، **شجرة النور الزكية في طبقات المالكية**، المطبعة السلفية ومكتبتها، القاهرة، ١٣٤٩هـ، ص١٦٤.

(٣٩) عبيد بوداود، **الأوقاف...**المرجع السّابق، ص٨٩.

(٤٠) الملحق رقم: (٠٣) نَص التحبيس الخَاصّ بالمَسْجِد الكَبِير بِمَدِينَة مُستَغَانِم: «الحَمدُ لله رَبِّ العَالَمِينَ والعَاقِبَةُ لِلمُتَّقِينَ أَمَرَ بِبِنَاءِ هَذَا الجَامِع المُبَارَك سَيِّدُنَا ومَولَانَا الأَعدَل عَبدِ الله عَلِي أَمِيرِ المُسلِمِينَ المُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ رَبِّ العَالَمِينَ أَبُو الحَسَن بَن مَولَانَا أَمِير المُسلِمِينَ المُجَاهِد فِي سَبِيلِ رَبِّ العَالَمِينَ أَبِي يُوسَف بَن عَبدِ الحَقِّ وصَلَّى الله عَلَى نَبِيِّهِ وبَلَّغَه فِي فِعلِ الخَيرِ سَعيَهُ ومَقصُودَه وجَعَلَ مُلُوكَ الشِّركِ خَولَه وعَبِيدَه. وذَلِك فِي عَام اثنين وأَربَعِينَ وسَبعُ مَايَة، وحُبِّسَ عَلَيهِ خُلدَ الله مَفَاخِرَهُ وأُرِيدَ آثَارُهُ الكَرِيمَة ومَآثِرَهُ حَانُوتَينِ اثنَتَينِ بِالسُّوقِ الكَبِيرِ فَتَحَ بَابَا هُمَا قِبلَة وهُمَا المُلَاصِقَتَانِ لِدَارِ ابن أَبِي عَرُوز وفَرنِي اثنين أَحَدُهُمَا قبلى هَذَا الجَامِع المُبَارَك والآخَر عَن يَمِينِ الخَارِج مِن بَابِ البَلَدِ وثَلَاثُ جِرَارٍ مِن الزَّيتِ المُستَفَادِ مِن العُشرِ لِتُصرَفَ غَلَّاتُ الرَّبِيعِ المَذكُورِ فِي مُرَتَّبِ الإِمَامِ الخَطِيبِ، وقُرَّاة الحِزبِ والمُؤَذِّنِينَ والحِصَر بَعدِ الدُّومِ، والإِصلَاحِ ويُصرَف مِن الزَّيتِ المَذكُورِ فِي الاِستِصبَاحِ ويَتَوَلَّى النَّظَرَ فِي ذَلِكَ وصَرفِه حَيثُ ذَكَرَ القَاضِي والخَطِيبَ مَعًا، وعَشَرَة مِن أَهلِ الخَيرِ نَفَعَنَا الله بِذَلِكَ المَقَامِ العَلِيِّ وضَاعَفَ أَجرَهُ وأَطَالَ عِزَّهُ». **ينظر**: مولاي بلحميسي، "في تاريخ جامع مستغانم العتيق"، مجلة الأصالة، الجزائر، السّنة الثّالثة، العدد١٢. ١٩٧٣م. ص١٣٤.

(٤١)- **مسجد سيدي الحلوي**: أسسه السلطان أبو عنان المريني سنة (٧٥٤هـ/١٣٥٣م)، تخليدًا لذكرى وفاة العالم الشهير الولي الصالح أبو عبد الله الشوذي الاشبيلي المعروف بالحلوي نزيل تلمسان المتوفى سنة (٧٣٧ هـ/ ١٣٣٧م)، ومازال هذا المسجد قائمًا وهو كثير الشبه بمسجد أبي مدين من حيث الهندسة والزخرفة. **ينظر**: رشيد بورويبة وآخرون، **الجزائر في التاريخ: العصر الإسلامي من الفتح إلى بداية**

العهد العثماني، ج٣، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ١٩٨٤، ص٥٠٣.

(٤٢) صالح بن قربة وآخرون، المرجع السّابق، ص١٥٨.

(٤٣) مختار حسّاني، **موسوعة تاريخ وثقافة المدن الجزائرية: مدن الشرق**، ج٢، دار الحكمة، الجزائر، ٢٠٠٧، ص٩٢-٩٣.

(٤٤) **المدرسة اليعقوبية:** شيدها السلطان الزياني أبي حمو موسى الثاني (ت٧٩١هـ/١٣٨٨م) تخليدا لذكرى والده أبو يعقوب يوسف (ت٧٦٣هـ) لذا سميت باليعقوبية كما اشتهرت كذلك باسم مدرسة سيدي إبراهيم المصمودي نسبة للعالم الجليل الّذي دفن بها سنة (٨٠٥هـ/١٤٠٢م)، تم افتتاحها في ٥صفر (٧٦٥هـ/١٣٦٣م)، حيث أكثر عليها الأوقاف ورتب فيها الجرايات وكسا طلبتها، نصب للتدريس بها الفقيه أبو عبد الله محمد الشريف التلمساني فارس المعقول والمنقول صاحب الفروع والأصول (ت٧٧١هـ)، وبعد وفاته خلفه ابنه عبد الله لتولي إدارتها والتدريس بها لمواصلة ركبها وتقدمها الثقافي. **ينظر:** مؤلف مجهول، **السفر الثاني من زهر البستان في دولة بني زيان (٧٦٠-٧٦٤هـ/١٣٥٩-١٣٦٣م)**، تحقيق: محمد بن أحمد باغلي، الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط٢، ٢٠١٢، ص٢١٢؛ يحى بن خلدون، **بغية الرّوّاد في ذكر الملوك من بني عبد الواد**،ج٢، تحقيق: بوزياني الدراجي، دار الأهل للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، ٢٠٠٧؛ ص٢٨٣؛ التنسي، المصدر السابق، ص١٧٩.

(٤٥) مؤلف مجهول، المصدر السابق، ص٢١٢.

(٤٦) التنسي، المصدر السّابق، ص١٨٠.

(٤٧) الملحق رقم: (٠٤) وثيقة التحبيس الخَاصّة بالمدرسة اليعقوبية: «أَمِيرُ المُسْلِمِين المُتَوَكِلُ عَلَى رَبِّ العَالَمِين أَبُو حَمُو إِبْن مَوْلاَنَا الأَمِير أَبِي يَعْقُوب إِبن الأَمِير أَبِي زَيْد إِبْن مَوْلاَنَا الأَمِير أَبِي زَكَرِيَاء إِبْن مَوْلاَنَا أَمِير المُسْلِمِين أَبِي يَحْيَى يَغْمُرَاسَن بْنْ زِيَّان وَصَلَ الله مَفَاخِرَهُ وَخَلَدَ آثَارَهُ الكَرِيمَةِ وَمَآثِرَهُ عَلَى هَذِهِ الزَّاوِيَةِ المُبَارَكَةِ المُقَامَةِ عَلَى ضَرِيحِ وَالِدِ المَذْكُورِ بَرَّدَ الله ضَرِيحَهُ. فَمِن ذَاكَ مَا بِدَاخِلِ تِلِمْسَان المَحْرُوسَة جَمِيع الطَاحُونَة المُلاَصِقَة لِلزَّاوِيَة وَالثَّلاَثُونَ حَانُوتًا المَعْرُوفَةِ بِالصَاغَةِ القَدِيمَةِ وَالكُوشَةِ التِّي بِمَنْشَر الجِلْد وَحَمَام الطُبُول وَفُرْن مقْسَم المَا وَفُنْدُق العَالِي وَبِخَارِج البِلاَد المَذْكُور جَمِيع الرُحَا السُفْلِي بِقَلْعَةِ بَنِي مَعْلِي وَالنِّصْف شَائِعًا فِي رَوْضِ المَنِيَةِ الكَائِنَةِ بِالرَمِيل وَزَيْتُون تِيغْدَا وَأَرْض الزِّيتُون المَذْكُور ثُمَّ مَعْصَرَتُهُ وَرُحَاهَا وَجَمِيع المُحَبَس. مِلْكَهُ وَشُهْرَةَ الجَمِيع تُغْنِي عَلَى التَّحْدِيدِ تَحْبِيسًا تَامًا مُطْلَقًا عَامًا وَوَقْفًا ثَابِتًا أَبَدِيًا لِيُصْرَف مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الحُبُس المَذْكُور عَلَى مُعَلِمِين العِلْمِ وَطَالِبِيه وَإِمَامْ وَمُؤَذِن عَام ثَلاَثَةٍ وَسِتِين وَسَبْعُ مَايَة...عَام خَمْسَة وَسِتِين...». يُنظر:

(Ch)-Brosselard, "les inscriptions arabes de Tlemcen: Mosquée Ouled El Imam", in Revue Africaine, 3ème année, N°13, Octobre1858, pp169-170.

(٤٨) ابن مريم، المصدر السّابق، ص١٧٠.

(٤٩) عبيد بوداود، **الأوقاف...**المرجع السّابق، ص٨٤.

(٥٠) **بغية الرواد**... المصدر السّابق، ج٢، ص٩٦.

(٥١) صالح بن قربة وآخرون، المرجع السّابق، ص١٤٦.

(٥٢) التنسي، المصدر السّابق، ص١٤١.

(٥٣) المصدر نفسه، ص٢٤٨-٢٤٩.

(٥٤) أنور محمود زناتي، **"الوقف على المكتبات في الحضارة الإسلامية ودوره في النهضة العلمية – الأندلس نموذجا-"، دورية كان التاريخية**، مجلة رقمية الكترونية، السنة ٥، العدد١٦، ٢٠١٢، ص٤٠-٤٢.

(٥٥) يحيى محمود ساعاتي، المرجع السابق، ص٢١-٢٢، ص٦٦.

(٥٦) **الجامع الأعظم:** شيد في عهد المرابطين على يد مؤسسها "يوسف بن تاشفين" (٤٥٣-٥٠٠هـ) سنة (٤٧٣هـ/١٠٨٠م)، ثم رممه ابنه "علي بن يوسف بن تاشفين" (٥٠٠هـ/٥٣٧م) سنة ٥٣٠هـ، أما في العهد الزياني فقد كان يغمراسن شديد الاهتمام به حيث أضاف له القسم الشمالي من بيت الصلاة والقبة والصحن والمئذنة التي رفض أن يكتب عليها اسمه لورعه وتقواه، مواظبا على أداء الصلاة فيه، وحضور دروسه التي كان يلقيها كبار الفقهاء مثل: أبو إسحاق إبراهيم بن يخلف التنسي المطماطي (ت٦٨٠هـ/١٢٨٠م) ، فاتخذ منذ ذلك الوقت مركزا للتدريس فذاعت شهرته وأصبح مقصد العلماء وقبلة طلاب العلم يفدون إليه من كل حدب وصوب، وينهلون من مشيخته مختلف العلوم، واستمر طيلة العهد الزياني لعنايتهم الفائقة به، وما زاد من قيمته خزانة الكتب التي أقامها السلطان "أبو حمو موسى الثاني" سنة (٧٦٠هـ/١٣٦٠م)، إن كل هذا الاهتمام والعناية جعلته شبه جامعة كجامع الزيتونة بتونس والقرويين بفاس، ولا يزال حتى اليوم قائمًا محافظًا على فنه ومعماره. يُنظر: التنسي، المصدر السابق، ص ١٢٥؛ يحي بن خلدون، المصدر السابق، ج١، ص٢٠٧.

George Marçais, Op-cit , p27/37-38.

(57) التنسي، المصدر السابق، ص٢١٠-٢٠١١.

(58) المصدر نفسه، ص٢١٩.

(٥٩) ابن مرزوق، المصدر السّابق، ص٤٠٧.

(٦٠) عبيد بوداود، **الأوقاف...**المرجع السّابق، ص٢٣٠؛ أنور محمود زناتي، المقال السابق، ص٤١.

(٦١) كمال السّيد أبو مصطفى، المرجع السّابق، ص ١١٠.

(٦٢) يحيى محمود ساعاتي، المرجع السابق، ص٢١.

(٦٣) أبو القاسم سعد الله، المرجع السّابق، ص٢٦٥-٢٦٦.

(٦٤) التنسي، المصدر السّابق، ص١٧٩.

(٦٥) هو **إبراهيم بن محمد بن علي التازي أبو إسحاق:** عالم أديب وصوفي كبير برع في الحديث والفقه والأصول، نزيل وهران وتلميذ الشيخ محمد بن عمر الهواري، توفي بوهران ودفن بزاويته سنة ٨٦٠هـ. يُنظر: ابن صعد الأنصاري التلمساني، **روضة النسرين في التّعريف بالأشياخ الأربعة المتأخرين**، تحقيق: يحي بوعزيز، منشورات ANEP، الجزائر، ط١، ٢٠٠٤، ص١٤٣-؛ التنبكتي، المصدر السابق، ص٥٩-؛ ابن مريم، المصدر السابق، ص٥٨-؛ الحفناوي، المصدر السابق، ج٢، ص٧-؛ محمد مخلوف، المصدر السابق، ص٢٦٣-.

(٦٦) محمد بلحاج، **مخطوط النجم الثّاقب فيما لأولياء الله من مفاخر المناقب**، ج١، دراسة وتحقيق، رسالة ماجستير كلّية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة وهران، ٢٠٠٧-٢٠٠٨، ص١١١.

(٦٧) عبيد بوداود، **ظاهرة التّصوّف في المغرب الأوسط ما بين القرنين السّابع والتّاسع الهجريّين (١٣-١٥م)، دراسة في التّاريخ السّوسيو-ثقافي**، دار الغرب، الجزائر، ٢٠٠٣، ص٢٩١.

(٦٨) المرجع نفسه، ص٢٩٣.

(٦٩) محمد بلحاج، المرجع السّابق، ص١١٨.